Asian Journal of
Islamic Studies and Da'wah

e-ISSN : 3025-4493
p-ISSN : 3025-5252

Index : Harvard, Boston, Sydney University, Dimensions, Lens, Scilit, Semantic, Google, etc

https://doi.org/10.58578/AJISD.v3i2.5177

التسامح في القرآن والسنة، وادعاءات المنكرين

Tolerance in the Quran and Sunnah, and the Claims of Deniers

Mekki Klaina
Abdelmalek Essaadi University, Morocco
adam4141@hotmail.com

Article Info:

Submitted:	Revised:	Accepted:	Published:
Feb 17, 2025	Mar 2, 2025	Mar 14, 2025	Mar 19, 2025

Abstract

The concept of *al-Tasāmuh* holds great significance in Islam, predating its discussion in the West and emphasizing coexistence within a framework of mutual respect and rights protection. This study examines *al-Tasāmuh* in the Quran and *Sunnah*, comparing it to the 1995 definition of *Tolerance* in foreign languages to clarify misconceptions that lead to distorted judgments about Islam. It highlights Islam's broad scope of *al-Tasāmuh*, granting Muslims and non-Muslims the right to live peacefully, while distinguishing between human rights, which allow tolerance, and Allah's rights, which remain non-negotiable. Research findings indicate that *Tolerance* has been inaccurately translated into Arabic, leading to misinterpretations, with studies confirming that Islamic *al-Tasāmuh* permits non-Muslims to live safely in Islamic society, provided they do not undermine its integrity. Critics of Islamic *al-Tasāmuh* often rely on inaccurate

AJISD Journal is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International License

translations, linking it to secularism and detachment from religious and cultural identity. Furthermore, freedom has limits to prevent self-harm and harm to others. Islam does not impose religion, instead promoting dialogue and persuasion. To foster positive *al-Tasāmuh*, efforts should focus on educating future generations and enacting laws that protect all rights, ensuring that religious sanctities and moral values are not compromised. This study adopts an analytical and critical approach to provide a nuanced understanding of *al-Tasāmuh* in Islam.

Keywords: *Al-Tasāmuh*; Tolerance; Quran and *Sunnah*; Islamophobia

الملخص: إن موضوع التسامح له أهمية بالغة في الإسلام قبل أن يتكلم عنه الغرب. وتقوم هذه الأهمية على التعايش بين الجماعات من ذوي المعتقدات المختلفة في إطار الاحترام وعدم المساس بحقوق الآخرين. لأجل ذلك، يتناول هذا البحث موضوع التسامح في القرآن والسنة ومدى توافقه مع المعنى الذي تم إقراره في عام 1995 باللغات الأجنبية Tolerance. ويهدف إلى توضيح المفهومين حتى لا يختلط الأمر على الناس فيحكمون على الإسلام بناء على تصورات مغلوطة. وكذا إبراز أن نطاق التسامح في الإسلام واسع، حيث يمنح المسلمين وغير المسلمين الحق في التعايش بأمان، وهو مرتبط بحقوق الإنسان فيما يمكن أن يكون متسامحًا فيه. أما فيما يتعلق بحقوق الله، فهي لا تندرج ضمن هذا الحق. وقد توصلت الدراسات إلى أن ترجمة كلمة Tolerance إلى اللغة العربية لم تكن دقيقة، مما أدى إلى تشويه الصورة. وأثبتت أن التسامح في القرآن والسنة يخول لغير المسلمين العيش في أمان في المجتمع الإسلامي، مع ضرورة عدم التطاول عليه والمساس به. كما أن الذين ينكرون وجود التسامح في الإسلام اعتمدوا على الترجمة غير الدقيقة لكلمة Tolerance، إذ نسبوا للتسامح معنى مختلفا يسعى إلى الانفصال عن الهوية الدينية والثقافية، ويرتكز على العلمانية. علاوة على ذلك، فإن الحرية لها حدود تمنع الأذى الذاتي وكذا الإضرار بالآخرين. كما أن الإسلام لا يفرض الدين على الناس، بل يركز على الحوار والإقناع. ولتعزيز التسامح الإيجابي، ينبغي التركيز على تعليم الأجيال القادمة كيفية التفاعل مع الآخرين، مع سن قوانين تحمي حقوق الجميع، دون التسامح مع انتهاك المقدسات الدينية أو نشر السلوكيات المنحرفة. وقد تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج التحليلي والنقدي.

الكلمات المفاتيح: التسامح، القرآن والسنة، الإسلاموفوبيا، حقوق لإنسان.

المقدمة

يُعلي الإسلام من شأن التسامح مؤكدًا على ضرورة التعايش السلمي واحترام التنوع وتعزيز العلاقات الصحية بين الناس ومختلف الجماعات كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من أقوال وأفعال وتقريرات رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونظرا لتناول بعض الجهات هذا المصطلح موسعة دلالته، فقد صار من الضروري فهمه ودراسة دلالته في المنظور الإسلامي، وذلك تجنبا للتمثلات غير الصحيحة عنه والتي يمكن توظيفها للغض من شأن الإسلام والمسلمين.

والمتدبر لما جاء في القرآن الكريم يجده كتابا يمثل دستور المسلمين في جميع جوانب الحياة، يؤكد على قبول الآخرين في إطار الاحترام ما لم يمسوا بالأذى معتقد المسلمين، أو يعملوا على تشويه صورة الإسلام والمسلمين، بغض النظر عن معتقداتهم وألوانهم وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، كما يشدد على أهمية الرحمة والتعاون السلمي كأحد تعاليمه الرئيسة.

كما أن السنة النبوية تمثل التطبيق العملي لما جاء في القرآن الكريم، فأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته توفر رؤى ثمينة حول الطرق التي جسد بها التسامح في معاملاته عليه السلام مع الأشخاص من جميع الخلفيات العرقية والدينية.

ومع ذلك، تم سوء فهم مفهوم التسامح في الإسلام من قبل بعض الأشخاص والمنظمات، مما أدى غالبًا إلى أفكار وسلوكيات متطرفة تتعارض مع الطبيعة الأساسية للإسلام، وذلك من خلال تفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بشكل انتقائي وخارج السياق، يُروج بعضهم تفسيرا مشوها للإسلام يشجع على التعصب والتحيز والعنف.

إن الفهم الخاطئ وتشويه التعاليم الإسلامية يشكلان عقبة خطيرة أمام تشكيل تصورات العالم عن الإسلام داخل المجتمعات الإسلامية وخارجها. من هنا، كان من الضروري معالجة هذه

القضية لتوضيح مفهوم التسامح الإسلامي استنادًا إلى مصادر موثوقة وآراء علمية من لدن علماء أهل الفن.

ظهر في الغرب مصطلح "Tolerance" بسبب الصدامات القوية التي وقعت قبل عصر النهضة وبعدها بين أقطاب مصلحي الدين المسيحي في الغرب. كما كان إحدى نتائج الحرب العالمية الأولى والثانية وما تلاها من دمار وخراب عالميين: تطوير مفهوم " Tolerance" الممثل في المعاهدات الدولية، كما في حالة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948، ثم صياغة مبادئ "Tolerance" سنة 1995. وفي النصف الثاني من القرن العشرين، شهد العالم عديدا من الحروب التي أدت إلى العنف والكراهية المتبادلة في معظم دول العالم، مثل الحرب في أفغانستان سنة 2001، وفي العراق سنة 2003، وفي أوكرانيا سنة 2022.

ما ذُكر أعلاه أدى إلى ظهور مفهوم "Tolerance " الديني، ثم نشأت الحاجة لتوسيعه، فبدأ الحديث عن "Tolerance" الثقافي والاجتماعي والسياسي والفكري والعرقي وغيرها من أشكال "Tolerance ".

في إعلان مبادئ "Tolerance" (ترجم لاحقا إلى كلمة التسامح) الذي أُعلن عنه ووقّعته الدول الأعضاء في اليونسكو في 16 نوفمبر 1995، في المادة 1: معنى التسامح: "التسامح هو الاحترام، والقبول، والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا، ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا. ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد، وأنه الوئام في سياق الاختلاف. وهو ليس واجبا أخلاقيا فحسب، وإنما هو واجب سياسي وقانوني أيضا. والتسامح هو الفضيلة التي تيسر قيام السلام محل الحرب".

على هذا الأساس، يعد Tolerance واجبا أخلاقيا ومتطلبا قانونيا وسياسيا يتسم بالطابع الإلزامي. لذا، يُفسّر إعلان مبادئ التسامح ليس كتنازل أو تسامح، بل كمسؤولية تدعم حقوق الإنسان والتعددية والديمقراطية وسيادة القانون، ويتطلب هذا من الدول صياغة تشريعات عادلة في المعاملة والفرص لجميع الجماعات والأفراد والمجتمع. وهذا يعني أن الفرد حر في التمسك بقناعاته الخاصة، ويجب عليه قبول الآخرين الذين يتمسكون بقناعاتهم في مظهرهم ومكانتهم وكلامهم وسلوكهم وقيمهم، وعدم فرض أي جهة قناعاتها على الآخرين.

في هذا السياق، تُرجم مصطلح Tolerance إلى اللغة العربية بكلمة "التسامح"، التي لا ترتبط، من حيث الأصل اللغوي العربي، بالمفهوم المقدم، ولا بالكلمة نفسها المستخدمة في لغات أخرى التي تعني التسامح Le pardon, El perdón, The forgiveness، حيث إنها في العربية تعني العفو واللين. لذلك، حدثت ترجمة خاطئة للكلمة.

تناول الباحثون عمومًا موضوع التسامح بالمعنى الذي دعت إليه الأمم المتحدة، فوجدنا من بينهم من يريد إثبات أن الإسلام دين تسامح، مثل فضلي ربي (2012)، الذي يعتقد أن التسامح يؤدي إلى رفاهية الإنسانية. وللتأكيد على ذلك، ذكر مجموعة من الآيات والأحاديث التي تشير إلى حرية الاعتقاد والتعامل بلطف (Fazli, 2012). كما حاول ويلسون حسن ناندوا (2016) إثبات أن الإسلام دين التسامح من خلال تسليط الضوء على ما يؤكد رفعة الإسلام، وذكر أن الآيات المتعلقة بالجهاد تتعلق بقتال غير المسلمين للمسلمين (Wilson, 2016). لكنهم لم يلتفتوا إلى ما يعنيه مفهوم التسامح الغربي. بينما يتحدث بعضهم عن وجود حدود للتسامح، مثل برهان الدين إس، إس إتش آي، إم. هوم (2018)، إذ لا يجوز للمرأة المسلمة أن تتزوج من غير مسلم، ولا يجوز لغير المسلم أن يحكم المسلمين في دولة إسلامية، كما لا يحق لغير المسلم والمرتد أن يرث من مال المسلم (Burhanuddin, 2018).

وقد حاول بعض الباحثين غير المسلمين تقديم صورة مشوهة عن الإسلام فصوروه على أنه منبع الإرهاب، وأن المسلمين إرهابيون، وهذا مخالف لحقيقة الإسلام. وفي هذا الإطار، نقدم مثالا على ذلك من خلال لويس برنارد الذي يتحدث عن المسلمين كشعب يعاني من ثلاث عقد: فهم غير قادرين على مواكبة التقدم الغربي، ويتأسفون على المجد الذي حققه أجدادهم وضاع منهم، كما ضاعت منهم سيادتهم في بيوتهم. وكان لكتاباته دور كبير في تشويه صورة الإسلام التي روج لها (Lewis, 1990: 47-60)، مما أدى إلى ظهور الإسلاموفوبيا.

كل هذا يدعونا إلى الحاجة للنظر في مفهوم التسامح من خلال القرآن والسنة، وهل الإسلام دين تسامح أم عنف حسب زعم المنكرين؟ وإلى أي مدى كان القوم موضوعيين في أحكامهم التي وجهوها إلى الإسلام والمسلمين.

سيحاول هذا البحث توضيح الفرق بين Tolerance والتسامح، وإلى أي مدى تم الخلط بين المصطلح الغربي وترجمته إلى العربية، وتأثير ذلك، وتوضيح أهمية التسامح من خلال القرآن والسنة. يجب ألا نغفل عن أهمية ذلك في نشر الاعتدال الديني في المجتمعات المسلمة، خاصة في الدول التي يوجد فيها تعددية دينية. كما أنه مفيد لشرح قواعد التسامح في الإسلام، والتفرقة بين التصور الإسلامي له والتصور الغربي.

استنادًا إلى ما سبق، سيفحص هذا البحث في القسم الأول منه مصطلح التسامح من خلال القرآن والسنة لتبيين دلالته، وكيف أن الإسلام يقوم عليه ويقبل الآخر. أما في القسم الثاني، فسيناقش ادعاءات الذين ينكرون التسامح في الإسلام.

منهج الدراسة

ستعتمد الدراسة على المنهج التحليلي لبحث موضوع التسامح انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم كيفية ترجمة الكلمة إلى الإنجليزية ودراسة دلالتها في اللغة التي استعملت فيها، وإلى أي حد كانت الترجمة صحيحة، وهنا يأتي دور المنهج النقدي في معالجة ذلك، وكذا الرد على من ادعى نفي التسامح في الإسلام انطلاقا من الترجمة المقدمة للكلمة.

أولا: التسامح في القرآن والسنة

1.1 التسامح في القرآن:

التسامح قيمة مهمة في الإسلام، يؤكد عليها القرآن من أجل بناء مجتمع آمن ومتفهم، هدفه التعاون والتعارف لبناء حضارة عالمية، علمًا بأن هذه الكلمة لم ترد فيه، لكن محتواها موجود في عديد من الآيات. نذكر فيما يأتي بعض النقاط الرئيسة حول التسامح في القرآن:

1.1.1. التسامح تجاه الرسالات السماوية المختلفة:

كل الرسالات السماوية من عند الله، وجميعها كانت موحى بها من الله عز وجل إلى أنبيائه بعقيدة واحدة، تدعو لتوحيد الله عز وجل وعبادته وعدم الإشراك به. هي على هذا الأساس دين واحد، أما الشرائع، فقد اختلفت بحسب الأقوام الذين نزلت عليهم. والإسلام هو آخر الرسالات السماوية، مكملٌ لما سبقه من الشرائع، وفي هذا قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 136].

قال الله تعالى في هذه الآية إن من يختار دينًا غير الإسلام لن يُقبل منه، لكن رغم ذلك، نهى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم عن إجبار الناس على اعتناق الإسلام، حيث قال: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي

ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: 256].

ولتفسير هذه الآية، قال ابن كثير (ت 774هـ): "أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيّن واضح، جليٌّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا" (ابن كثير، 1401هـ، 311:1). وهذا يعني أن الله تعالى لم يدع إلى إجبار غير المسلمين على الدخول في الدين الإسلامي، أو المساس بكرامة غير المسلمين، والمفسرون بدورهم نشروا هذا المبدأ في تفاسيرهم.

وقد تحدث القرآن الكريم أيضًا عن الرسل والأنبياء السابقين، وعن دعواتهم لعبادة الله وحده لا شريك له، وعن المعجزات التي أيدتهم، وما جرى لهم مع أقوامهم. نذكر من ذلك أن موسى عليه السلام ورد في القرآن الكريم 136 مرة، وذُكر اسم عيسى 25 مرة، أحيانًا مع صفاته. وذُكر اسم مريم عليها السلام 34 مرة، ويشير إليها بعدد من الأسماء، أهمها "قانتة" [سورة التحريم، الآية: 12]، ويصفها بأنها امرأة متدينة، وهي أم عيسى، وقد ولدته وهي عذراء، ولها مكانة عظيمة في الإسلام، وفي القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تصريح بعفتها وطهارتها. كما سميت سورة في القرآن الكريم باسمها. بينما ورد اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسم في عدد محدود من الآيات.

من هنا، نستنتج أنه لو كان القرآن الكريم من تأليف رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكان حضور اسمه وأقاربه منتشرا في القرآن الكريم، بينما الواقع يشير إلى خلاف ذلك، بينما نصيب الأنبياء والرسل الآخرين عليهم السلام واسع فيه. كما يدل هذا أيضًا على أن القرآن الكريم لا

يهمل بقية المعتقدات ورسلها، ويذكر تشريعاتهم، ويحاور أصحابها بالعقل. وهذا السلوك يدل على أن التسامح في تقديم الرأي والمعتقد المخالف في القرآن الكريم ثابت، ولا يمكن لأي شخص إنكاره.

لكن، التسامح لا يعني قبول ما ينفيه الدين، فبيان الحق واجب، وعدم الرضا عنه، والسكوت عليه يؤدي إلى دمار الأمة، والدولة مسؤولة عن الحفاظ على الأمن الروحي والاجتماعي في البلاد. مع ملاحظة أنه في البلد الذي يوجد فيه تعدد المعتقدات، يترك أصحابها لمعتقداتهم، ولا يُجبرون على مخالفتها.

2.1.1 التسامح مع التنوع في الإسلام:

يشجع الإسلام، من خلال مبدأ التسامح مع التنوع، على التعايش السلمي والاحترام بين أتباع المعتقدات والأصول المختلفة، ويضمن حق الأشخاص الذين يؤمنون بعقائد سماوية أخرى في ممارسة شعائرهم. لقد خلق الله التنوع، وهو يشمل الاختلاف في اللغة والعرق والدين، وعلى المسلمين التمسك بمعيار محدد من التسامح مع الاختلاف والتعايش السلمي لجميع الناس وفقاً للإسلام، فالفرق الوحيد بينهم أمام الله هو التقوى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحجرات، الآية: 13].

وتفسير هذه الآية يفيد أن الله تعالى خلق بني آدم من أصل واحد، ذكوراً وإناثاً، وجميعهم يعودون إلى آدم وحواء. وجعلهم شعوبًا وقبائل للتعارف بينهم. فلو كان كل منهم مستقلاً بذاته، فلن يحدث التعارف الذي يشمل التعاون. أما تكريمهم عند الله فهو بالتقوى، وتجنب المعاصي. وهذا يظهر أن الإسلام لا يقوم على التمييز بين الناس إلا على أساس تقوى الله فقط، فهو معيار التفاضل بين الناس (السعدي، 2000، 1:802).

إن التسامح مع التنوع لا يعني قبول الشر، إذ دور المسلم هو إظهار وجه الحق، والسكوت عنه يضر الجميع، وفي هذا السياق، قال الله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَر فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: 79]. أي أن الله عاتبهم لأنهم لم ينهوا أحدًا عن ارتكاب المعاصي. لكن ليس عليه أن يجبر غير المسلمين على ما يعتقد. لذا، يجب أن نحذر من ذلك (ابن كثير، 1401هـ، 83:2).

كما أن التسامح لا يعني قبول الزنا تحت اسم العلاقات الرضائية والشذوذ الجنسي والسحاق واللواط، كما لو أن كل هذا طبيعي ولا يضر الآخرين، بل يدخل تحت باب الحريات الشخصية! هذا يذكرنا بما حدث لقوم لوط عندما انتشر فيهم اللواط، والعقوبة الإلهية التي حلت بهم، وفي ذلك قال سبحانه وتعالى حكايةً عما حلَّ بهم: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًاۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84)﴾ [سورة الأعراف، الآيات: 80-84]. وهذا يدل على أن التسامح لا علاقة له بالتخلي عن المبادئ الدينية، ولا بقبول هذه السلوكيات غير المقبولة في الدين.

3.1.1 التسامح في العلاقات الشخصية:

يعد التسامح مكونًا أساسيًا لبناء علاقة قوية ودائمة. والتسامح هنا يقتضي الاستعداد لقبول الآخر، واحترام الاختلافات الموجودة بين الأطراف. والاستعداد للاستماع إلى وجهة نظر الآخر، حتى ولو كان لا يتفق معه. وكذا الاستعداد للتوصل إلى تسويات وإيجاد حلول لمصلحة الطرفين.

وقد وضع الإسلام مبادئ توجيهية واضحة للمسلمين لتعزيز التعايش السلمي مع غير المسلمين، مع التأكيد على ضرورة تعزيز التسامح في العلاقات الشخصية. وفي هذا السياق، قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [سورة النحل، الآية: 125].

وفي هذه الآية، يوجه الله سبحانه وتعالى خطابه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لاستخدام الحكمة في الدعوة والكلام الطيب، والجدال مع غير المسلمين بالوسائل الحسنة. واستخدام الحكمة في الدعوة يتطلب حوارًا واستماعًا جيدين، وعدم التعصب، وعدم فرض رأي على الآخرين حتى ولو كان المتحدث يعتقد أنه على حق... بهذه الطريقة، يفتح الباب للتفاهم مع الآخرين، ويتجنب وسائل العنف والكراهية. وفي ذلك، بيّن الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كيف يتحاور مع منكري الإسلام: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة سبأ، الآية: 24].

ففي هذه الآية، نهى الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم عن نسبة الحق لنفسه بينما ينسب للآخرين الضلال حتى ولو كان متيقنا أنه على الحق المبين. وفائدة ذلك أن المحاور إذا لمس في المتكلم استعداده للاستماع إليه، وليس الادعاء بأنه على صواب وغيره على خطأ، فإنه سيقبل عليه للإنصات إليه والتحاور معه بالتي هي أحسن. أما الحكم عليه ابتداء بأنه على ضلال، فإن ذلك سيدفع به إلى مزيد من التمسك برأيه والعناد، وقد يصل الأمر إلى استخدام العنف.

4.1.1 التسامح واجب أخلاقي:

من القيم التي يقوم عليها الإسلام الصدق في جميع المعاملات بين المسلمين وغيرهم، فهو أحد أهم القيم الأخلاقية التي تظهر تقوى المسلم، وقد وردت آيات عديدة تبين قيمته.

في مجال الأعمال التجارية، يشدد القرآن الكريم على ضرورة التعامل بالعدل وعدم الغش في عدد من الآيات، سواء كان ذلك في التعامل بين المسلمين أو غيرهم، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿وأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [سورة الرحمن، الآية: 9]. ففي هذه الآية، أمر الله الناس بعدم الغش في الميزان عند البيع. كما أنه نهى عن التعامل بالربا في الشراء والبيع والقرض، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [سورة البقرة، الآية: 275]، فوصف أولئك الذين يتعاملون بالربا بأنهم مصابون بالمس بسبب كذبهم وادعائهم أن الربا مثل البيع (الطبري، 1405هـ، 103:3)، بينما هما أمران مختلفان، فالمرابي يعتمد على أكل أموال الناس بالباطل، وهذا يؤدي إلى انتشار الكراهية بين الناس، وفقدان الثقة.

1.2 التسامح في السنة النبوية:

نلاحظ أن كلمة "التسامح" لم ترد في الأحاديث النبوية، ولكن نجد كلمة "سَمْح" في حديث: "رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إذا بَاعَ وإذا اشْتَرَى وإذا اقْتَضَى"، وحديث: "رحم اللهُ رجلاً سمحًا في بيعه وشرائه وفي مطالبته بدينه" (البخاري، 2015، 20:3، ح 2085). ومعنى هذه الكلمة يدل على الرحمة والتعاون والمغفرة والمعاملة الحسنة، وليس الشك أو الاعتداء على الآخرين أو الغش، وفي هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (البيهقي، 1994، 191:10، ح 20571). كما جاء في الحديث وصية جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجار، كما في قوله عليه السلام: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه" (البخاري، 2015، 418:6، ح 6020). وعندما نعود إلى كيفية معاملة النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش بعد دخوله مكة، قال لهم: "ما ترون أني صانع بكم؟" قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. قال: "اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء" (البيهقي، 1994، 118:9، ح 18055). وهذا يوضح بجلاء عظمة الإسلام، إذ لم ينتقم النبي صلى الله

عليه وسلم منهم بعد أن آذوه قبل هجرته إلى المدينة، بل عفا عنهم، وهذا مخالف لما عليه سلوك المتغلبين على أعدائهم!

ومن بين الأمور التي تخلق الكراهية بين الناس: الظنون. لذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخوانا، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك" (البخاري، 2015، 6: 41-42، ح 5133، ومسلم، 2007، 6:430، ح 6532).

بشكل عام، حثت الأحاديث النبوية على اتباع فضائل الأخلاق وتجنب رذائلها. وقد كتب العلماء كتباً في (الترغيب والترهيب) لحث الناس على الطاعة واتباع الأخلاق الحسنة، وتجنب السلوكيات السيئة. وبذلك يتضح أن التسامح هو اتباع السلوك الذي يخلق بيئة صالحة لنشر الأمن والأمان الاجتماعي والثقة بين الناس والتعاون. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى حياة سلمية، خاصة وأن المسلم يربط هذا السلوك بالثواب الذي سيلقاه في الآخرة. لذا، فإن السباق إليه يعود إلى وجود هذا الدافع الديني. ومع ذلك، فإن التسامح يكون فقط فيما له تعلق بالشخص نفسه. أما ما لا يتعلق به، فلا يحق له المسامحة فيه، كما هو الحال مع حقوق الله تعالى، فالذي له الحق في المغفرة هو الله سبحانه وتعالى. كما أن اتباع ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى لا يمكن قبوله، وأقل ما يمكن فعله هو الإنكار القلبي بالنسبة للأفراد، كما ورد في الحديث: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (مسلم، 2007، 1: 143-144، ح 177).

ومن خلال تتبع الأحاديث النبوية، يمكننا الوصول إلى مجموعة من الاستنتاجات:

أ) التسامح يكون في المجال الذي يملك فيه الشخص حق التسامح، فإذا لم يكن متعلقًا به، فلا مجال للحديث عن التسامح لأنه حق للآخرين إذا كان خاصا بالعباد، أو خاصا بالله سبحانه وتعالى.

ب) التسامح لا يعني عدم إنكار المسلم المنكر، ولو بالقلب.

ج) التسامح يعني التعامل الجيد مع الآخرين، والتعاطف معهم، وعدم إلحاق الأذى بهم. لهذا السبب، كتب العلماء كتبًا عن الترغيب في الفضائل، والنهي عن المنكر.

ثانيا: شبهات المنكرين حول التسامح في الإسلام:

أ) دعوى اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم على العنف وفرض الإسلام بالقوة:

ادعى جوزيف إس. سبورل أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم العنف ضد يهود خيبر وهددهم بالموت إذا لم يعتنقوا الإسلام (Spoerl, 2015)، ونقل عن جيوم في ترجمته سيرة ابن إسحاق: "عندما أهلك الله قريشًا في بدر، جمع الرسول اليهود في سوق بني قينقاع عندما هاجر إلى المدينة ودعاهم إلى قبول الإسلام قبل أن يعاملهم الله كما عامل قريش" (Gillaume, n.d.: 260)... "يا يهود، احذروا لئلا يجلب الله عليكم الانتقام الذي جلبه على قريش وأصبحوا مسلمين. أنتم تعلمون أنني نبي أرسلت، ستجدون ذلك في كتبكم وعهد الله معكم" (Gillaume, n.d.: 263).

استنتج جوزيف من هذا ما يأتي: "عبارة محمد الشرطية منطقيًا معادلة لنقيضها: (إذا كان هناك إكراه عليكم، فإنكم تجدونه في كتبكم أن عليكم الإيمان بمحمد). إنها خطوة إلى عبارة أخرى: (إذا كان هناك إكراه عليكم، فذلك لأنكم تجدون في كتبكم أن عليكم الإيمان بمحمد). هذا يبدو أنه المعنى الحقيقي الذي يقصده محمد (صلى الله عليه وسلم). لماذا يتضمن هنا التهديد الخفي بأن المسلمين (أشداء على الكفار رحماء بينهم)؟... ما يعنيه حقًا هو أن واجب اليهود العهدي

القبول به نبيا واضحٌ جدًا لدرجة أنهم لا يحق لهم رفض اعتناق الإسلام... يجب فهم الرسالة إلى يهود خيبر في ضوء إنذاره قبل بضع سنوات ليهود المدينة بعد عودته من بدر... ليس لدينا خيار سوى الاستنتاج. لذلك، فإن الإشارة الوحيدة والفريدة إلى الآية (لا إكراه في الدين)... هي في الواقع تهديد من محمد (صلى الله عليه وسلم) بأنه سيسحق يهود خيبر عسكريًا إذا لم يعتنقوا الإسلام، تمامًا كما هدد يهود المدينة بنفس المصير قبل عدة سنوات عند عودته من بدر" (Spoerl, 2015).

ب) دعوى أن الإسلامَ منبعُ الإرهاب:

انتقد مجموعة من المستشرقين الإسلام وصوروه منبعا للإرهاب، داعين إلى محاربته وقطع مصادر الإرهاب فيه، من بينهم: برنارد لويس في مقالاته. يرون أن المسلمين لا يستحقون المعاملة الديمقراطية، ولديهم الكراهية والعداء تجاه الغرب بسبب العقدة التي يعانون منها. لدعم ذلك، استخدموا سلسلة من الأحداث اختاروها، ثم عمموا حكمهم على جميع المسلمين في جميع العصور (Lewis, 1990).

ذكر جيرلروب أن المسلم يُوصم بأنه إرهابي ومجرم ومعتدٍ ومغتصب بمجرد كونه مسلما. كما لاحظ تأثير ثقافة الشعوب في الحكم على الأفراد والجماعات، مما يسبب سوء الفهم والإسلاموفوبيا، ثم وصف هذه الأوصاف بكونها أسطورية (Jerlerup, 2017).

ج) دعوى أن الإسلام لا يقبل بالحريات الفردية:

اتخذت الحريات الفردية بُعدًا واسعًا في زماننا هذا في إطار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وإعلان مبادئ التسامح (1995). وعليه، يحق للفرد التعبير عن آرائه وتوجهه الجنسي والعقدي، ولا يُحاسب إلا إذا خالف القوانين. لهذا السبب، نجد من يهاجم الإسلام يتعلل بعدم سماحه بذلك.

انتقد مجموعة من الأشخاص من البلدان الإسلامية الذين تأثروا بالفكر الغربي، بما في ذلك العلمانيون والحداثيون، الإسلام من منظور غير ديني، ففسروا النصوص وفقًا لهذه التوجهات، وقالوا إن التراث يجب تنظيفه مما يعدونه يخالف التوجه الحقوقي العالمي! (Klaina, 2023).

ثالثا: مناقشة الدعاوى:

أ) مناقشة ادعاء أن النبي صلى الله عليه وسلم فرض الإسلام بالقوة:

عندما نقل جوزيف رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر، وقام غيوم بذلك قبله، لم يكونا أمناء في نقلهما، فقد أهملا نقل توجهه صلى الله عليه وسلم إلى اليهود ملحا عليهم في السؤال، لكي يعودوا إلى التوراة للنظر فيها هل يوجد فيها اسمه، مع علمه يقينا بوجوده، تفصيل ذلك كما جاء في كتابه الذي كتبه لهم: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب موسى وأخيه، والمصدق لما جاء به موسى، ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) [سورة الفتح، 29:48]. وإني أنشدكم بالله، وأنشدكم بما أنزل عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله إلا أخبرتموني: هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ إن كنتم لا تجدون ذلك

في كتابكم، فلا كره عليكم، (قد تبين الرشد من الغي)، فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه" (ابن هشام، 1411هـ، 81:3).

عند التأمل في الجزء الذي أغفل جوزيف نقله، يتضح أن الهدف هو صرف انتباه القارئ عن نية النبي صلى الله عليه وسلم في تشجيع يهود خيبر على قول الحق، وإظهاره أن الخير يكمن في الإيمان به. الجزء الأول كان لإعلامهم بما قاله الله سبحانه وتعالى، مخيّرا لهم بين الإيمان به وعدمه. وهذا يؤدي إلى تفسير بديلٍ للنص عكس ما ادعى جوزيف. ولإثبات الحجة ضدهم، طلب منهم العودة إلى التوراة التي يؤمنون بها ليروا بأنفسهم إذا كان صحيحًا أن اسمه ذُكر فيها، فإذا لم يجدوه فيها، فلا إكراه عليهم، لأن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم سيكون بناءً على ادعائه الشخصي، أما إذا وجدوا أنه مذكور فيها، فيجب عليهم الإيمان به وفقًا لإيمانهم بالتوراة. فالإكراه هنا يعني التمسك بما ورد في التوراة، وإلا يصبحون كافرين. ومع ذلك، إذا لم يجدوه، فهذه دعوته لهم إلى الله ورسوله. لذلك، فلا يوجد أدنى تناقض، كما ادعى جوزيف، في الرسالة.

واعتمادًا على طريقة جوزيف في التفسير المبنية على دراسة السياق، سنستخدم نفس الطريقة:

عند العودة إلى الحقائق التاريخية، يتضح لنا أن الحروب التي وقعت خلال عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مفروضة عليه في الأصل، لأن قريشا خافوا انتشار الإسلام، الأمر الذي قد يؤدي إلى فقدانهم مكانتهم وهيبتهم. وبعد أن آذوا النبي صلى الله عليه وسلم ومن اعتنق الإسلام في مكة وهاجر إلى المدينة، شنوا ثلاثة حروب ضده، وجميعها وقعت في المدينة، أي أنهم هم من أعلنوا الحرب على النبي صلى الله عليه وسلم. تشمل هذه المعارك: غزوة بدر، التي وقعت بعد عديد من الاشتباكات بينهم وبين المسلمين، وكان النصر للمسلمين (ابن هشام، 1411هـ، 3: 152-309).

وغزوة أحد، التي لم يكن فيها فائز ولا خاسر بسبب خطأ استراتيجي ارتكبته المجموعة المسلمة المسؤولة عن حراسة الجبل (ابن هشام، 1411هـ، 4: 5-40). وغزوة الخندق التي تحالف فيها يهود بني النضير مع قريش ضد المسلمين، لكنهم لم يستطيعوا هزيمتهم، حيث ضربتهم عاصفة ودفعتهم إلى تخليهم عن الغزوة بعد حصار استمر شهرًا (ابن هشام، 1411هـ، 4: 170-192).

تجاهل جوزيف السياق الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذا البيان. في خيبر، خان اليهود العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، وتآمروا ضدهم مع قريش في الحرب التي شنوها ضدهم، ورحبوا بالمنافقين في أرضهم للتآمر ضد المسلمين. فلو نجحوا في هزيمة المسلمين، لكانوا قتلوهم بلا رحمة. يُعدّ سلوكهم هذا خيانة عظمى، والعقوبة المعروفة للخيانة آنذاك شديدة. وهكذا، اندلعت الحرب بين الطرفين حتى استسلم يهود خيبر. وعلى الرغم من أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت لديه القدرة على إبادتهم عقابا لهم حسب ما كان معروفًا قبل الإسلام، إلا أنه اختار أن يعيش معهم بسلام ولم يفرض عليهم الإيمان، وقَبِل اقتراحهم زراعتهم أرض خيبر مقابل إعطاء المسلمين نصف الإنتاج (الواقدي، 1855: 177-203، وابن عقبة، 1994: 247-258، وابن القيم، د.ت.، 1: 133-137).

هذا يدل على أنه لا يوجد شيء في كتب السيرة والحديث يشير إلى الاستنتاج الذي توصل إليه جوزيف، سواء كان ذلك متعلقًا بدعواه أنه كان عنيفًا، أو بدعواه أنه حاول فرض الإسلام عليهم بالقوة. وما يمكن استنتاجه من النصوص الواردة في مصادر السيرة النبوية والأحاديث النبوية أنه دعاهم إلى الإسلام لأنه رسول الله، ومهمة جميع الرسل بلا استثناء هي دعوة الناس إلى الله سبحانه وتعالى. كما يُظهر الواقع أيضًا أنه تصرف معهم بطريقة تدل على التسامح والرغبة في التعايش السلمي. لذلك، فإن دعوى استعمال النبي صلى الله عليه وسلم العنف ضد يهود خيبر لا أساس له، ويفتقر إلى الدقة التاريخية.

ب) مناقشة دعوى أن الإسلام منبعُ الإرهاب:

ما ادعاه برنارد لويس أن الإسلام منبع الإرهاب لا يستند إلى أي دليل مقبول، لأنه لا يمكن الحكم على جميع المسلمين أنهم إرهابيون أو أشخاص سيئون بناءً على أفعال بعض الأفراد أو الجماعات على مر القرون. ودعوته إلى معاملة الإسلام والمسلمين بالعنف تمثل تحيزًا خطيرًا ضد المسلمين، حيث يعتقد أنهم لا يعرفون الديمقراطية ولا معنى لها بالنسبة لهم. لذلك، فإن الحياد مفقود في كتاباته ومحاضراته التي تمثل هجومًا شرسًا على الإسلام والمسلمين. ويعتمد في كل ذلك على "الأكاذيب المنهجية"، أي الكذب في ادعاءاته وتقديم أكاذيبه بطريقة تجعل التحقق منها صعبا بالنسبة لغير العالم، وذلك بهدف تقديم صورة سيئة عن الإسلام والمسلمين. على سبيل المثال، في عبارته: "معظم المسلمين ليسوا متطرفين، ومعظم المتطرفين ليسوا إرهابيين، لكن معظم الإرهابيين في عصرنا هم مسلمون ويفخرون بهويتهم" (لويس، د.ت.، 141). إذا كانت المقدمتان الأولى والثانية مقبولتين، فإن الاستنتاج ليس كذلك.

الواقع هو أن الإرهاب أصبح صناعة سياسية واقتصادية في هذا العصر، من عمل بعض الدول بطريقة منظمة، بهدف استغلال خيرات الدول الأخرى والسيطرة عليها. ولم يسلم العالم الإسلامي وغير الإسلامي من الاضطرابات والحروب التي دمرت الإنسانية والحضارة، فحاولوا إيجاد طريقة للعيش في سلام. تحدث القوم عن التسامح الذي يتضمن مجموعة من الشروط، فحدد فوغت Vogt في بحثه ستة شروط اجتماعية تساهم في تطوير التسامح داخل المجتمع، كما يأتي (Vogt, 1997: 227-235): 1. التنوع الاجتماعي. 2. اقتصاد السوق. 3. المؤسسات السياسية الديمقراطية. 4. عدم اليقين المعرفي. 5. التقييم العقلاني للتراث. 6. تشجيع التعليم والمهن التي تقوم على خلق معرفة وكفاءات لحل المشاكل الاجتماعية.

إن ما أشار إليه فوغت يخص في الواقع المجتمعات العلمانية ذات البعد الحداثي التي تتجنب التراث الثقافي والديني. لذلك، قد لا تكون رؤية فوغت قابلة للتطبيق عالميًا، لأنها لا تأخذ في الحسبان خصوصيات المجتمعات. بالإضافة إلى ذلك، فإن واقع الدول يختلف من بلد إلى آخر، فبعضها قد ينطبق عليها ما ذكره فوغت، بينما بعضها الآخر لا يمكن تطبيقه عليها نظرا لمعتقداتها الدينية وبقية خصائصها. كما يشير إلى أن التفكير المبني على امتلاك الحقيقة، يشكل عقبة أمام Tolerance. ومع ذلك، نلاحظ أن الدول العلمانية المتقدمة اقتصاديًا والمتنوعة اجتماعيًا تشهد حاليًا اضطرابات وعنصرية وفرض آراء في غياب المبادئ الديمقراطية. هنا نذكر، على سبيل المثال، ما حدث مؤخرًا في فرنسا، حيث وقعت اشتباكات بين قوات الأمن والمجتمع بسبب قتل أحد ضباط الشرطة لقاصر لم يتجاوز عمره 17 عامًا، واندلعت الحرائق في باريس، وتكبدت الدولة خسائر مادية كبيرة في غياب Tolerance.

تتكرر مثل هذه الأحداث في أوروبا، مثلما حدث عندما أهان بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيفة "شارلي إيبدو" أكثر من مرة. وعندما قام شخص بحرق القرآن الكريم في السويد، أثار ذلك الجدل وأثار المخاوف. علاوة على ذلك، قتل المسلمين الروهينجا في ميانمار وتهجيرهم. بالإضافة إلى ذلك، معاناتهم في أوكرانيا من التمييز والكراهية.

هذا يعني أن الإسلاموفوبيا وكراهية مجموعة من الناس للإسلام تقودهم إلى تجنب Tolerance تمامًا، بينما يطالبون المسلمين بذلك! هذه هي مشكلة القوم، لقد استخدموا مصطلح "حرية التعبير" و"حرية الاعتقاد"، فنشروا خطاب الكراهية، وأساءوا استخدامه أثناء الحديث عن Tolerance! وفي الوقت الذي يطالبون فيه بهاتين الحريتين، يقومون بالتضييق على المسلمين، فلا يحق لهم التعبير عن معتقدهم قولا ولا لباسا، بل يعدون انتقاد المسلمين بعض الأحداث التي وقعت لليهود على أساس أنها ليست حقيقية أنهم يعادون السامية، ويتابعونهم قضاء!

المشكلة هي أن المسلمين يعانون من غياب Tolerance من الآخرين. أي جريمة تحدث في الغرب تُنسب للمسلمين ابتداء قبل البدء بأي تحقيق من قبل السلطات المعنية (Klaina, 2023). كل هذه المعاناة والتمييز الذي يواجهه المسلمون يشير إلى أن الخطوة الأولى في تطبيق Tolerance يجب أن تكون من قِبَل الآخرين. وهذا لا يعني أنه لا يجب علينا أيضًا النظر إلى أنفسنا ومراجعة أوضاعنا الخاصة لتحقيق التعايش السلمي مع الآخرين.

كتبت كارولين مالا كوربين ورقة بحثية تدين تشويه الغرب صورة المسلمين على أساس العنصرية والتمييز. بالنسبة لهم، الإرهاب دائمًا من المسلمين، والإرهابي ليس بأبيض. إن هذه الأحكام مبنية على مفاهيم مسبقة لا أساس لها من الصحة (Corbin, 2017).

وعندما تكلم ويلز عن قوة الإسلام في كتابه (محمد والإسلام)، حدد ثلاثة عناصر لهذه القوة، ذكر ما يأتي: "ويكمن عنصر ثالث من عناصر القوة في إصرار الإسلام على الأخوة الكاملة والمساواة أمام الله لجميع المؤمنين، بغض النظر عن لونهم وأصلهم ومكانتهم" (Wells, 1922: 248-252).

وكتب روي في كتابه: "الخلفية التاريخية للإسلام والظروف الاجتماعية التي نشأ فيها تركت عليه طابع Tolerance، الذي قد يبدو للعين غير المميزة أنه متناقض مع روح التعصب التي يُنسب إليها تقليديًا، لكنه لا يوجد تناقض. العقيدة الأساسية للإسلام (لا إله إلا الله) تعزز بحد ذاتها La Tolérance" (Roy, 1938:41).

ج) مناقشة دعوى أن الإسلام لا يقبل بالحريات الفردية:

ضمن الإسلام الحريات الفردية في القرآن الكريم في وقت لم تكن مضمونة. نجد حوارات عديدة مع أولئك الذين ينطقون بكلمات تسيء إلى كرامة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إلى حد

وصف بعضهم له بالجنون. ومع ذلك، يتضمن القرآن الكريم تصريحات هؤلاء الأفراد، مع الرد عليهم. مثال آخر على ذلك، الحوار الذي دار بين الله وملائكته بشأن خلق البشر، حيث سألوه عن السبب، بهدف معرفتهم حكمة الله في ذلك. وكذا الحوار الذي جرى بين الله وإبليس عندما ادعى بكبرياء أنه أفضل من آدم ورفض السجود له. هذا يدل على قبول تقديم موقف الآخر وما يعتقده دليلا في القرآن الكريم، بينما لا تجرؤ الجهات المناوئة أن تفعل ذلك، بل تلجأ إلى طمس الحقائق وتزييفها، وإلغاء رأي الطرف الآخر.

لكن، ينبغي التأكيد على أن الحرية لها حدود، وبدونها يصبح المجتمع في فوضى، يفعل كل شخص ما يشاء. هذه الحرية المطلقة تصبح وبالا على الآخرين. واستنادًا إلى هذه الحرية المطلقة، طالب بعض القوم أن تُصْبَغَ السلوكيات الشاذة بالصبغة القانونية حتى لا ينكرها أحد. ونتائج مثل هذا السلوك لم تعد سراً، بما في ذلك انتشار الأمراض المعدية بسبب الزنا واللواط والسحاق، وهذا يتطلب موارد مالية كبيرة للعلاج.

إن هذا المجال لا يدخل في نطاق حقوق الأشخاص بحيث تكون لديهم السلطة لقبولها وممارستها وتقبل الآخرين الذين يتصرفون بناء عليها، بل يقع ضمن مجال الأحكام التي أقامها الله، وقد حرم الله عز وجل ذلك، وعاقب العصاة من قوم لوط، وذكر قصتهم في آيات كثيرة من القرآن الكريم، كما حرم الزنا، بينما أباح الزواج الذي يحافظ على استقرار الأسرة، والابتعاد عن مثل هذه الأمراض المعدية.

في الوقت الحاضر، نجد أن الذين دعوا إلى الديمقراطية يعانون من عواقبها، ولهذا السبب هناك الآن موجة من النقد للديمقراطية لأنها أدت إلى تدمير المجتمعات، فكتبوا عن "موت الديموقراطية". واستنادًا إلى ما سبق، يجب أن تكون للحرية حدودا لتجنب أي ضرر يلحق

بالبشرية. وفي هذا الصدد، نذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَثَلُ القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها. فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ من فوقنا! فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا" (البخاري، 2015، 220:3، ح 2507).

الخاتمة

تناول هذا البحث موضوع التسامح في القرآن والسنة، وموقف الذين ينكرونه. ودرسنا معناه من خلال تتبع الآيات والأحاديث النبوية، فوجدنا أنه يتعلق بقيم الرحمة واللين وحسن معاملة الآخرين والتنازل عن حقوق المرء من باب الشفقة على الناس. هذا التسامح له طابع إيجابي، بمعنى أن من يأخذ به يبتغي رضا الله، ومقتنع تمامًا بما يقوم به. كما يفترض أن يصدر من كلا الطرفين، لا من طرف واحد فقط. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى نشر روح المحبة بين الناس.

أما مفهوم Tolerance بالمعنى الغربي، الذي يقوم على القبول والاحترام والتقدير، فله دلالة سلبية. يفترض أن يتخلى الشخص عن هويته الدينية والثقافية من أجل قبول أولئك الذين لديهم انحرافات جنسية، والأفراد المتحولين جنسيًا، والملحدين، وأولئك الذين ينشرون أفكارًا متطرفة. يجب قبول كل ما سبق بشكل طوعي وفعال، حتى لو لم يؤمن به المرء من أجل أن يوصف به.

بناء على ما سبق، فإن هذين المفهومين - الإسلامي والغربي – مختلفان، إلا أن القوم يحرصون على جعل المجتمعات تقبل بمثل هذه المفاهيم من خلال اختلاق أسماء في المجتمعات

الإسلامية تجعلهم يقبلون كل شيء لا يوافق عليه الإسلام. بهذه الطريقة، ظهر ما يسمى "المشروبات الروحية"، وهي تعني الكحول! و"الفن" بينما يتعلق الأمر برقص امرأة عارية، وأفلام فاحشة!

ولتعزيز هذه المفاهيم المشوهة، انتقد بعضهم الإسلام بكونه عنيفا، وأنه انتشر باستعمال العنف، وأن القرآن والسنة منبعان للإرهاب. ومن خلال البحث، اتضح أن جميع التهم الموجهة ضد الإسلام لا أساس لها من الصحة، حيث إنه يقوم على الحوار والإقناع، والتاريخ يثبت أنه انتشر بسبب مبادئه والأخلاق العالية التي يتميز بها. أما الإرهاب، فهو مفهوم غربي يهدف إلى تخويف الناس من الإسلام والمسلمين، بينما يثبت الواقع أن الغرب يمارسه ضد المجتمعات الإسلامية.

كما أن حديثهم عن الحريات الفردية هو فقط لتشكيك المجتمعات الإسلامية في دينها، ونشر الإلحاد. والعاقل يدرك أن الحرية ينبغي أن تكون لها حدود؛ وإلا سيتعرض الناس لغياب الأمن الروحي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي. والقوانين الخاصة والدولية مبنية على عدم نشر الأفكار التي تعد منحرفة وكذا السلوك الضار. فإذا كان الأمر كذلك، فإن الدين الإسلامي أكثر حرصًا على الحفاظ عليه من خلال عدم السماح لأي شخص في مجتمع مسلم بمهاجمته لتجنب الوقوع في الفوضى الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهذا لا يعني أنه لا يجب أن يتمتع أتباع المعتقدات الأخرى بحقوقهم، فالإسلام يضمنها لهم، ولا يبيح للمسلم أن يؤذي غيره.

هذا الموضوع يعطينا فرصة لبحث الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق هذا الأمن. لأجل ذلك، ينبغي ألا يغفل التعليم عن هذا الشأن، إذ يمتلك دورًا أساسيًا في تربية الأطفال والشباب الذين سيصبحون رجال الغد. وقيام المؤهلين علميا بهذا الدور أفضل من تركه لأشخاص لا يمتلكون الكفاءة العلمية المؤهلة لهم لتصحيح الفكر والمعتقد. كما يجب حماية المجتمع من الذين يرغبون

في إلحاق الضرر بالدين الإسلامي ونشر الانحراف الفكري والسلوكي من خلال سن قوانين تردع الذين يقومون بذلك.

المراجع

القرآن الكريم.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. (2015). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*. (ط. 2). قطر: دار التأصيل.

البيهقي، أبو بكر أحمد. (1994). *السنن الكبرى*. المملكة العربية السعودية: دار الباز.

السعدي، عبد الرحمن. (2000). *تيسير كلام الرحمن في تفسير كلام المنان*. بيروت: مؤسسة دار الرسالة.

الطبري، أبو جعفر بن جرير. (1405ه). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. بيروت: دار الفكر.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (د.ت.). *زاد المعاد في هدى خير العباد*. بيروت: دار الفكر.

ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل الدمشقي. (1401ه). *تفسير القرآن العظيم*. بيروت: دار الفكر.

لويس، برنار. (د.ت.). *أزمة الإسلام*. (ترجمة: حازم مالك محسن). بغداد: دار ومكتبة عدنان.

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري. (2007). *صحيح مسلم*. (مع ترجمته إلى الإنجليزية: نصير الدين الخطاب). كندا: هدى خطاب.

ابن عقبة، موسى. (1994). *المغازي*. المغرب: جامعة ابن زهر.

ابن هشام، عبد الملك. (1411ه). *السيرة النبوية*. (ط. 1). بيروت: دار الجيل.

الواقدي، محمد بن عمر. (1855). *المغازي*. كلكوتة.

Burhanuddin, S., SHI, & M. Hum. (2018). The fundamental principles of tolerance (Al Tasâmuh) under Islamic perspective. *ICOLESS - International Conference on Law Technology and Society, Sharia Faculty, State Islamic University Maulana Malik Ibrahim Malang,* 1-8. [Online]. Available: http://repository.uin-malang.ac.id/6278/1/The%20Fundamental%20Principles%20%20%20of%20%20Tolerance%20%20%28Al-Tas%C3%A2muh%29%20%20Under%20%20Islamic%20Perspective.pdf.

Chaliand, G., & Blin, A. (2007). *The history of terrorism from antiquity to Al-Qaeda.* (E. Shneider, K. Pulver, & J. Browner, Trans.). London: University of California Press.

Corbin, M. C. (2017). Terrorists are always Muslim but never white: At the intersection of critical race theory and propaganda. *Fordham Law Review, 6(2),* 455-485. Available: https://ir.lawnet.fordham.edu/flr/vol86/iss2/5/, accessed August 2, 2023.

Edwards, C. (2023, August 2). Sweden and Denmark consider ban on Quran-burning protests as security fears rise. *CNN.* Available: https://edition.cnn.com/2023/08/02/europe/quran-burning-protest-denmark-sweden-intl/index.html, accessed August 10, 2023.

Fazli, R. (2012). Concept of tolerance in Islam for the promotion of human unity. *AL-BASSERA, 1(1),* 1-17. Available: https://numl.edu.pk/journals/subjects/156109988111-AL-BASEERA%201%20(Vol.%201%20-%20Issue.%201)%20JUN-2012.pdf, accessed June 27, 2023.

Gillaume, A. (n.d.). *The life of Muhammad.* Karachi: Oxford University Press.

Human Rights Organization. (2020, October 9). Report on manifestations of intolerance, hatred, and discrimination against Muslims of Ukraine. *Kyiv.* Available: https://www.ohchr.org/sites/default/files/Documents/Issues/Religion/Islamophobia-AntiMuslim/Civil%20Society%20or%20Individuals/Razomizzakonom.pdf, accessed July 28, 2023.

Human Rights Watch. (2022, August 24). Myanmar: No justice, no freedom for Rohingya 5 years on. *Human Rights Watch.* Available: https://www.hrw.org/news/2022/08/24/myanmar-no-justice-no-freedom-rohingya-5-years, accessed August 25, 2023.

Jerlerup. (2017, June 21). The myth about the (aggressive Muslim). *LOONWATCH.COM.* Available: http://www.loonwatch.com/2017/06/21/the-myth-about-the-aggressive-muslim/, accessed June 30, 2023.

Klaina, M. (2023). Religious discourse in the Arab media. *Living Islam, 6(2).* DOI: https://doi.org/10.14421/lijid.v6i2.4488.

Kronenwetter, M. (2004). *Terrorism: A guide to events and documents.* Greenwood.

Le Figaro avec AFP. (2020, September 1). Charlie Hebdo republie les caricatures de Mahomet qui en avaient fait la cible des jihadistes. *LE FIGARO.* Available:

https://www.lefigaro.fr/actualite-france/charlie-hebdo-republie-les-caricatures-de-mahomet-qui-en-avaient-fait-la-cible-des-djihadistes-20200901, accessed July 10, 2023.

Lewis, B. (1990). The roots of Muslim rage. *The Atlantic Monthly, 266(3),* 47-60.

Nandwa, W. H. (2016). Plurality and religious tolerance in Islam. *European Scientific Journal, 12(32),* 314-329. Available: https://eujournal.org/index.php/esj/article/view/8398/, accessed August 4, 2023. DOI: https://doi.org/10.19044/esj.2016.v12n32p314.

Roy, M. N. (1938). *The historical role of Islam (An essay on Islamic culture).* Bombay: Vora & Co. Publishers Ltd.

Spoerl, J. S. (2015). Tolerance and coercion in the Sira of Ibn Ishaq. *The Levantine Review, 4(1),* 43-66.

UNESCO. (1995, November 16). *Declaration of principles on tolerance.* Available: https://www.unesco.org/en/legal-affairs/declaration-principles-tolerance/, accessed May 25, 2023.

United Nations. (1995). *Declaration of principles on tolerance.* Available: https://www.ohchr.org/en/resources/educators/human-rights-education-training/13-declaration-principles-tolerance-1995, accessed July 7, 2023.

United Nations. (n.d.). *Universal Declaration of Human Rights.* Available: https://www.un.org/sites/un2.un.org/files/2021/03/udhr.pdf, accessed July 4, 2023.

Vogt, W. P. (1997). *Tolerance and education: Learning to live with diversity and difference.* Thousand Oaks, CA: Sage Publications Inc.

Wells, H. G. (1922). *A short history of the world.* New York: The Macmillan & Company. Available: https://www.gutenberg.org/files/35461/35461-h/35461-h.htm#chapXLIII.